خطبة: طوفان الأقصى ومفهوم النصر ودلالاته

الخطيب: يحيى سليمان العقيلي

الحمدلله نصير المؤمنين وولي المتقين الحمدلله قاهرالجبّارين والمتكبرين ‏⁧

قال وقوله الحق: ‏ " إِن يَنصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ ۖ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا الَّذِي يَنصُرُكُم مِّن بَعْدِهِ ۗ وَعَلَى اللَّهِ فليتوكل المؤمنون "

ولا إله إلا الله وحده لاشريك له ، صدق وعده ونصر عبده وأعزّ جنده وهزم الأحزاب وحده ، و أشهد أن محمدا عبده ورسوله سيد المرسلين وإمام الأنبياء وقائدَ الغرّ المحجلين

صلوات ربي وسلامه عليه وعلى آله الطاهرين وصحبه الطيبين ومن تبعهم بإحسان الى يوم الدين ،، وبعد

فاتقوا الله عباد الله واشكروه ، وتوبوا اليه واستغفروه ، وانصروا دينه وعزّروه " لِّتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا "

معاشر المؤمنين

لازال طوفان الأقصى جارفا وكاشفا لصراعٍ كان لابد أن يتبدى للأمة "…لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَن بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَن بَيِّنَةٍ ۗ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ (42الأنفال)

صراعٍ بين الاسلام والكفر ، صراعٍ بين الحق بثباته ونصاعته وصموده ، والباطلِ بجبروته وطغيانه وزيفه ، قال تعالى " الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا ۗ وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ (40 الحج)

ومع مشاهد القصف والتدمير وحرب الإبادة التي يخوضها الصهاينة ، ومن ورائهم الغرب المنافق والصليبية والحاقدة التي اهدرت كل القيم الاخلاقية والقوانين الدولية وحقوق الشعوب لتقرير مصيرها ، ومواجهةِ كل عدوان عليها ، يقف الغرب مع اوكرانيا في دفاعها ويقف في ذات الوقت مع الصهاينة في عدوانهم ،،

، نقول وفي ظل هذا العدوان الهمجي يتساءل البعض : واين النصر الموعود للشعب الفلسطيني ؟ ونحن لانرى الا مزيدا من الدمار والشهداء من الأبرياء ؟

نقول لمن يتساءل إشفاقا وحرقة وتعاطفا صادقا ، أما المرجفون المخذلّون فنكلهم الى الله ، لأنهم لاينشدون حقا ، ولايخضعون لبرهانٍ ، ولايقيمون للتصرة المستحقة وللمروءة والشهامة والنخوة وزنا ،

نقول للمشفقين المتسائلين : ان سؤالكم هذا مستحقٌ والاجابة عليه مطلوبة ، لأنه ليس بدعا من القول ، فقد ورد من سالف هذه الأمة و ذكره القران الكريم في محكم التنزيل

قال تعالى " أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّىٰ يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَىٰ نَصْرُ اللَّهِ ۗ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ (214البقرة)

معاشر المؤمنين

ان تحديد مفهوم النصر إبتداءً هو الفيصل في إزالة اللبس وترسيخ العلم وبيان الحقيقة ، فالبعض يظن النصر في عدد القتلى والمصابين والدمار الذي يلحقه طرفٌ في الطرف الآخر ،

ويراه في تفوق العدد والعتاد والسلاح والظهير

فهذا البعض يرى وكأن المشهد اليوم هو انتصارُ الصهاينة وشركاءهم في الجريمة ، وهذا فهمٌ قاصرٌ لايستقيم مع كتاب الله تعالى ولامع سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وسيرته ،ولامع الواقع المشاهد ،

فنقول ، وبالله التوفيق ، لمن يشترطون التكافوء مع العدو لمواجهته ، والا فهو التهوّر والمجازفة ، نقول لهؤلاء ماتقولون في جيش غزوة مؤته الذي سيرّه رسول الله صلى الله عليه وسلم لقتال جيش الروم وحلفاءه من نصارى العرب ، جيش المسلمين ثلاثة الاف يواجهون مئتي الف ؟ وهذا جهاد طلب لاجهاد دفع ، أمر به صلى الله عليه وسلم ثأراً لقتل رسوله الذي أرسله لملك بصرى ؟

فأين التكافوء الذي تشترطونه ،

وهنا يتحدد معيار هام للنصر لدينا معاشر المسلمين ، وهو قوة الردع وقوة الارادة ولزوم المواجهة امام العدوان وعدم الرضى بالمساس بكرامة الأمة وعزتها والشجاعة والجرأة على مواجهة العدو ،

 ، لذلك وبعد غزوة مؤتة نكص هرقل عن مهاجمة المدينة ولم يتجرأ على ذلك حتى سقط ملكه الى غير رجعة .

ثم ماتقولون في تسيير أبي بكر رضي الله عنه وأرضاه للجيش الذي عقد لواءه رسول الله صلى الله عليه وسلم بقيادة أسامة بن زيد للثأر من أولئك المعتدين أنفسهم بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم مباشرة ؟؟

وانطلق الجيش الاسلامي الأقلُ عددا وفي وقت ارتدت فيه الجزيرة العربية عن الاسلام، والمسلمون أحوج مايكونون للدفاع عن المدينة ، وحقق الانتصار حيث لم يجروء العدو على مواجهته ورحع ظافراً منتصرا ، ولكن انتصارا إضافيا تحقق ، عباد الله، وهذا من حكمة ابي بكر رضي الله عنه ، ان قبائل العرب المرتدة لم تجروء على مهاجمة المدينة وقالوا : لولا أن لهؤلاء قوة ومنعة ما خرج مثل هؤلاء من عندهم، ولكن ندعهم حتى يلقوا الروم. فلقوا الروم، فهزموهم وقتلوهم ورجعوا سالمين غانمين .

وهذا معيار اضافي لمفهوم النصر عباد الله وهو إظهار القوة والاعتزاز بالقدرات المتاحة وبركة التوكل على الله وإمضاء أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم والعزم على المواجهة وترك التردّد والمبالغة في الحسابات المادية ،

واجه جيش المسلمين أعداءهم في معركة من المعارك ، فقام رجلٌ من المسلمين وألقى بنفسه في صفوف العدو ، فصاح بعض المسلمين " مه! مه! لا إله إلا الله، يلقي بيديه إلى التهلكة!

فقال أبو أيوب: إنما نزلت هذه الآية فينا معشر الأنصار، لما نصر الله نبيه وأظهر الإسلام، قلنا: هلم نقيم في أموالنا ونصلحها، فأنزل الله تعالى: {وأنفقوا في سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة}، فالإلقاء بالأيدي إلى التهلكة: أن نقيم في أموالنا ونصلحها وندع الجهاد.

معاشر المؤمنين

ان مفهوم النصر لدينا ومعاييره تتجاوز المعايير المادية التي يقتصر عليها البعض

في العدد والعتاد وحجم الضرر الواقع ،

النصر ، عباد الله ، هو في الثبات على الحق والدفاع عنه ، والمواجهة مع العدو الظالم بمايستطاع من قوة وتنكيل بالعدو ومواصلة الجهاد وعدم النكوص والتخاذل ،

اما الضحايا والدمار فهي ضريبةٌ مستحقة ومن لوازم المواجهة وهاهي شعوبُ الارض ، في مشارق الارض ومغاربها ، مانالت حريتها الا بالتضحيات الجسام ، فلم يُشرع ذلك للأمم كلها ويحرم على أمتنا ان تتحمل تلك التضحيات لتطهير مقدساتها ونيل حقوقها ومواجهة أعدائها ونصرة شعوبها المظلومة ؟ بل هي أولى الأمم بتلك التضحيات لتنال بها الخيرية والفضل على الأمم

نسأل الله تعالى ان ينزل نصره على عباده في غزة وفلسطين وأن ينزل بأسه وعقابه على الصهاينة المعتدين ومن حالفهم ،

اقول ماتسمعون واستغفر الله لي ولكم فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم .

معاشر المؤمنين

إرتد العرب بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم ومنهم من امتنع عن دفع الزكاة ، فعزم ابو بكر على مواجهة الفئتين ،

وسيّر رضي الله عنه أحد عشر جيشا لحرب الفئتين في قرار حفظ للدين كيانه وثوابته وفي ميزان غير متكافيء القوى مع تلك الجموع المرتدة ، وحقق النصرَ وعاد الاسلامُ سيداً حاكما للجزيرة العربية ، وكان ذلك إيذانا بحركة الفتوح التي انطلقت لفتح فارس والشام واليمن ، ولم يمض عقد من الزمان حتى اصبحت كلها ديارا للاسلام وفيها كان فتحُ بيت المقدس الذي وقع أسيرا منذ عقود بعد النكوص عن الجهاد والتخاذل والخيانة

وكاد قبيل حرب طوفان الأقصى ان يجهز عليه الصهاينة ، لإنهاء الوجود الاسلامي فيه ، لولا أن قيصّ الله جلّ وعلا أولئك المجاهدين الأبطال الأبرار الذين أجهضوا هذا المخطط الآثم ، بل وجعلوا هذا العدو الجبان يذوق مرارة الهزيمة والالم التي يسعى للتستر عليها بالمزيد من الاجرام وسفك الدماء والتدمير والاستغاثة بشركائه في الجريمة لحمايته ؟

ألبس انتصارا لغزة عباد الله وقوع

مئات القتلى للصهاينة وعشرات الأسرى وتهجير مئات الالوف من قطعان المستوطنين ، وتوقف منشآته التعليمية والاقتصادية ، وتحطم سمعة جيشه ،ومطالبة شعبه بمحاكمة قيادته وتهشم سمعة كيانه الغاصب لدى شعوب العالم ، واضطرار عشرات الالوف من شعبه البقاء في الملاجيء ، و تفريغ مدنه المحيطة بغزة من سكانها ، وانحدار اقتصاده وتفكك مجتمعه ، واخيرا تردده وخوفه من الهجوم البري الذي وعد به منذ اكثر من عشرة أيام ثم فشله في تحقيق اهدافه المعلنة فهاهي الصواريخ تنهال على مدنه دون توقف ،

وهاهم أسراه بين يدي المجاهدين وهاهم المجاهدون ينكلون بجنوده حول غزة

أليس هذا نصرا عباد الله، بل هو والله كذلك وسيتحقق بإذن الله الفتح والنصر الأكبر لهم في هذه الحرب " وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ ۖ قُلْ عَسَىٰ أَن يَكُونَ قَرِيبًا (51الاسراء)